

فَأَثَرَ الْبَقَاءِ بِحَيْثُ هُوَ ، وَبَعَثَ إِلَى أَصْحَابِهِ يُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِهِ . وَلَمْ يَكْذُ أَبَى يَسْتَقِرُّ فِي
الْغَابَةِ ؛ حَتَّى لَاحَ لَهُ وَمِيزُ نُورٍ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ ، فَحَسِبَهُ مُنْبَعِثًا مِنْ بَعْضِ الْقُرَى .
وَمَا كَادَ يَقْتَرِبُ مِنْهُ حَتَّى رَأَى زَنْجِيًّا مُفْرَغَ الْخِلْقَةِ ، جَالِسًا فِي الْكُوْخِ ، يَشْوِي عَلَى
النَّارِ ثَوْرًا هَائِلًا اصْطَادَهُ مُنْذُ قَلِيلٍ ، وَإِلَى جَانِبِهِ بَاطِيَةٌ (إِنَاءٌ مَمْلُوءٌ بِالشَّرَابِ) .
وَكَانَ يَعْبُ مَا فِي الْبَاطِيَةِ (يَشْرَبُهُ بِلَا تَنْفُسٍ) ، وَيَلْتَهُمُ الثَّوْرَ الْحَنِيذَ (الْمَشْوِيَّ)
فِي شَرِّهِ عَجِيبٍ . وَحَانَتْ مِنْ وَالِدِي الْفِتَانَةِ ، فَرَأَى عَلَى أَرْضِ الْكُوْخِ سَيِّدَةً مُقَيَّدَةً ،
يَسْكَادُ الْحُزْنَ يَفْتَرِسُهَا ، وَتَحْتَ قَدَمَيْهَا وَلِيدٌ ، لَا يَتَجَاوَزُ الثَّالِثَةَ مِنْ عُمْرِهِ . وَكَأَنَّمَا
شَعَرَ الصَّغِيرُ بِمَا تُعَانِيهِ أُمُّهُ مِنْ آلَامٍ ، فَرَاحَ يَشُقُّ الْقَضَاءَ بِضُرِّ اخِي ، وَيَبْكِي بِلَا انْقِطَاعٍ .
وَلَمْ يُطِقْ أَبَى صَبْرًا عَلَى الْبَقَاءِ دُونَ مُهَاجِمَةِ الْعِمْلَاقِ ؛ بَرغمَ مَا جَهَدَ أَبَى مِنَ الصَّيْدِ . وَلَمْ
يَسْكُنْ فِي قُدْرَتِهِ أَنْ يَهَاجِمَهُ عَلَانِيَةً ، فَاجَأَ إِلَى الْإِحْتِيَالِ .

وَكَانَ الزَّجِيُّ حِينِئِذٍ قَدْ جَرَعَ الْبَاطِيَةَ كُلَّهَا ، وَالتَّهَمَ مِنَ الثَّوْرِ الْحَنِيذِ (الْمَشْوِيِّ)
نِصْفَ لَحْمِهِ . وَسَمِعَهُ أَبَى وَهُوَ يُعَاتِبُ أُسِيرَتَهُ ، قَائِلًا : « مَا بِأَلْكَ تَلْجِئِينَ إِلَى الْعِنَادِ
أَيْتَهَا الْحَسَنَاءُ ، وَتَدْفَعِينَنِي إِلَى إِيْذَانِكَ ؟ مَا بِأَلْكَ تَرْفُضِينَ الزَّوَاجَ بِي عَلَى مَا تَرَيْنَ مِنْ
وَدَاعَتِي مَعَكَ ، وَتَلَطُّفِي بِكَ ؟ وَلِمَذَا تُؤْثِرِينَ الشَّقَاءَ عَلَى الْهِنَاءِ ، وَتُفْضِلِينَ الْهَلَاكَ عَلَى
الْبَقَاءِ ؟ » ثُمَّ سَمِعَ الْفَتَاةَ وَهِيَ تُجِيبُهُ ، فِي تَحَدٍّ وَازْدِرَاءٍ : « إِنَّ الْمَوْتَ أَهْوَنُ عَلَى مَنْ
رُؤْيَتِكَ ، أَيْهَا الْوَحْشُ الْآدِمِيُّ الْغَادِرُ ! » وَرَأَى الزَّجِيُّ يَتَحَقَّرُ لِلْفَتَاةِ بِأُسِيرَتِهِ ، بَعْدَ
مَا سَمِعَهُ مِنْ تَمَادِيهَا فِي تَحْقِيرِهِ وَإِهَانَتِهِ ، وَإِذَا هُوَ يُسْرِعُ إِلَى شَعْرِهَا ، فَيَجْذِبُهُ بِبُشْرَاهُ جَذْبَةً
عَنِيفَةً ، فَيُصْبِحُ جِسْمُهَا مُعَلَّقًا فِي الْقَضَاءِ ، وَيُهْزِهُ السَّيْفُ بِيَمْنَاهُ ، لِيَهْوِيَ بِهِ عَلَى رَأْسِهَا .
وَقَدْ كَادَ يَتِمُّ لَهُ مُرَادُهُ ، لَوْ لَمْ يُسْرِعْ أَبَى إِلَى قَوْسِهِ ، وَيُصَوِّبُ سَهْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ، إِلَى
قَلْبِهِ وَرَأْسِهِ ، فَيَقْتُلُهُ مِنْ فَوْرِهِ ، وَيُرِيحَ النَّاسَ مِنْ عَسْفِهِ وَجَوْرِهِ .

وَأُسْرِعَ أَبَى إِلَى الْأَسِيرَةِ ، فَأَطْلَقَ سَرَاحَهَا ، فَأَرْتَمَتْ عَلَى قَدَمَيْهِ شَاكِرَةً . فَنَحَّاهَا
مُتَلَطِّفًا . وَأَدْرَكَ - مِنْ قِصَّتِهَا - أَنَّ الزَّجِيَّ قَدْ اغْتَضَبَهَا ، وَهَرَبَ بِهَا إِلَى الْغَابَةِ ،
لِيَسْتَأْثِرَ بِهَا وَحْدَهُ ، بَعْدَ أَنْ قَتَلَ زَوْجَهَا ، وَيَتِمَّ طِفْلَهَا . وَقَدْ لَقِيَتِ السَّيِّدَةُ وَلَدَهَا مِنْ

كَرِيم أَبِي مَا بَدَلَ تَعَاسَتَهُمَا سَعَادَةً ، وَشَقَاءَ عَيْشِهِمَا رَغَادَةً . وَعُنِيَ أَبِي بِتَرْبِيَةِ وَلَدِهَا عِنَايَةً
الْوَالِدِ بَوَلَدِهِ . حَتَّى إِذَا كَبِرَ ، انْتَهَزَ فُرْصَةَ خُرُوجِ أَبِي إِلَى الصَّيْدِ ، وَزَيَّنَ لَهُ شَيْطَانُ
الْقَدَرِ أَنْ يَأْتِمَرَ بِأَبِي سَمْعَ بَعْضِ الْمُوَالِينَ لَهُ مِنَ الْأَشْرَارِ - لِيَقْتُلُوهُ . وَنَجَحَتْ هَذِهِ
الْمُؤَامَرَةُ ، وَتَمَّ لِلْأَشْقِيَاءِ مَا أَرَادُوا . وَكَانَ الشَّرِيرُ يَعْتَزِمُ الزَّوْاجَ بِي . فَدَبَّرَ لِي الْوَزِيرُ
«رَاشِدٌ» وَسِيلَةَ الْهَرَبِ ، وَأَعَدَّ لِذَلِكَ مَرَّةً كَبًّا كَبِيرًا رَكِبْنَاهُ خُلْسَةً فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ مَعَ
بَعْضِ خُلَصَائِنَا الْأَوْفِيَاءِ ، وَصَفَا لَنَا الْجَوُّ أَيَّامًا . ثُمَّ هَبَّتْ عَلَيْنَا عَاصِفَةٌ هَوَّجَاءُ ، انْتَهَتْ
بِتَحْطِيمِ الْمَرْكَبِ وَغَرَقِ رَاكِبِيهِ . وَتَعَلَّقَتْ يَدَايَ بِلَوْحٍ مِنَ الْخَشَبِ ، ثُمَّ هَدَّأَتِ
الْعَاصِفَةُ بَعْدَ



قَلِيلٍ . وَقَدَفَ
بِي الْمَوْجُ إِلَى
شَاطِئِ الْبَحْرِ ،
فَارْتَمَيْتُ عَلَى
السَّاحِلِ ،
مَجْهُودَةً الْقُوَى ،
وَاسْتَيْقَظْتُ عَلَى
أَصْوَاتِ جَمَاعَةٍ
يَتَحَدَّثُونَ .
وَأَقْبَلَ عَلَيَّ
أَمِيرُ الْمَدِينَةِ ،
وَسَأَلَنِي عَنْ
قِصَّتِي ، فَأَقْصَيْتُ
بِهَا إِلَيْهِ . فَبَدَأَ
- عَلَى سِمَاهُ -

الْحُزْنَ ، وَلَكِنَّهُ غَالِبُهُ جُهْدُهُ ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ مُؤَسِّيًا (مُصْبِرًا) ، بِإِذْلَا كُلِّ مَا فِي وَسْعِهِ ،

لِتَهْوِينَ مُصَابِي عَلَى ، وَحَسِبْتُ أَنَّ زَمَنَ الشَّقَاءِ وَالنَّحْسِ قَدْ وَلَّى ، وَلَمْ أَذِرْ مَا يَخْبُوهُ
 لِي الْقَدَرُ مِنْ مَصَائِبَ وَأَحْذَاثٍ . وَلَا تَسَلْ عَنْ خَيْبَةِ أَمَلِي حِينَ فَاجَأَنَا - فِي مُنْتَصَفِ
 الطَّرِيقِ - رَسُولٌ يُنْذِرُهُ بِالْوَيْلِ ، وَيُخْبِرُهُ أَنَّ عَدُوَّهُ الدُّودَ : الْأَمِيرَ « طَلْحَةَ » قَدْ أَغَارَ
 عَلَى بِلَادِهِ - مُنْذُ أَيَّامٍ - وَهَزَمَ جَيْشَهُ ، وَاسْتَوَلَى عَلَى مُلْكِهِ . وَلَمْ يُذْهِلْهُ النَّبَأُ الصَّاعِقُ
 عَنِ الْعِنَايَةِ بِي ، وَالتَّفَكُّيرِ فِي أَمْرِي ، فَأَعَدَّ لِي زَوْرَقًا حَمَانِي فِيهِ ، لِيُودِعَنِي مَمْلَكَةَ
 عَمِّهِ ، ثُمَّ يُعِدُّ جَيْشًا كَبِيرًا لِمُحَارَبَةِ غَاصِبِ مُلْكِهِ . وَمَا زَالَ يَجْدِفُ بِي ، حَتَّى إِذَا عَاوَدَنَا
 الْأَمْنُ - بَعْدَ أَنْ اجْتَرَأْنَا نِصْفَ الطَّرِيقِ - دَهَمَتْنَا عِصَابَةٌ مِنَ اللَّصُوصِ . فَأَنْبَرَى لَهُمُ
 الْأَمِيرُ الْفَتَى ، وَصَرَخَ أَرْبَعَةً مِنْهُمْ ، ثُمَّ تَكَاثَرَ عَلَيْهِ الْبَاقُونَ فَقَتَلُوهُ ، وَرَمَوْا بِجُثَّتِهِ فِي الْبَحْرِ .
 وَحَاوَلَ كُلُّ مِنْهُمْ أَنْ يَسْتَأْثِرَ بِي لِنَفْسِهِ ، فَنَازَعَهُ رِفَاقُهُ ، وَدَبَّ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ :
 مُحَاوَرَةً وَمُكَالَمَةً ، ثُمَّ تَدَرَّجَ مُلَاحَاةَ وَمُشَاهَمَةً ، ثُمَّ انْتَهَى عِزَاكَا وَمُهَاجَمَةً . فَهَلَكُوا
 جَمِيعًا ، وَلَمْ يَنْجُ مِنَ الْقَتْلِ غَيْرُ شَيْخٍ كَبِيرِ السِّنِّ ، يَجْمَعُ بَيْنَ الْقِظَازَةِ وَالْجَهَامَةِ ، وَالْعَرَجِ
 وَالْدَّمَامَةِ . وَكَانَ يَبْدُو عَلَيْهِ الْإِبْتِهَاجُ بِمَقْتَلِ رِفَاقِهِ . وَلَا تَسَلْ عَنْ فِرَاقِي حِينَ رَأَيْتُهُ
 يَتَطَلَّعُ إِلَى الزَّوْاجِ بِي ، وَلَمْ أَكْذِبْ أَغْلِنُ لَهُ الرِّفْضَ حَتَّى تَمْلِكَهُ الْغَيْظُ ، وَابْتَدَرَنِي بِلُكْمَةٍ
 قَاسِيَةٍ ، سَقَطَتْ مِنْهَا عَلَى الْأَثَرِ . وَمَا كِدْتُ أَفِيقُ مِنْ غَشْيَتِي ، حَتَّى اسْتَقَرَّ بِنَا الْمَرْكَبُ عَلَى
 شَاطِئِ الْبَحْرِ . وَمَرَّتْ بِنَا - بَعْدَ سَاعَاتٍ - إِحْدَى الْقَوَافِلِ الذَّاهِبَةِ إِلَى « دِمَشْقَ » ،
 فَصَحْبِنَاهَا . وَلَمْ تَكْذِبْ تَطْلُعُ شَمْسُ الْيَوْمِ التَّالِي ، حَتَّى دَهَمَتْنَا عِصَابَةٌ مِنَ اللَّصُوصِ ، فَقَتَلُوا
 الْأَعْرَجَ الدَّمِيمَ ، فِيمَنْ قَتَلُوهُ مِنْ رِجَالِ الْقَافِلَةِ ، وَاسْتَوَلَوْا عَلَى أَسْلَابِهِمْ وَمَتَاعِهِمْ .
 وَلَمْ يَنْجُ مِنَ الْقَتْلِ سِوَايَ ، فَحَمَلُونِي مَعَهُمْ أُسِيرَةً .

وَلَمْ يَنْقُضْ عَلَى هَذَا الْحَادِثِ يَوْمَانِ ، حَتَّى رَأَيْتُ اللَّصُوصَ يُسَارِعُونَ إِلَى الْهَرَبِ ،
 تَارِكِينَ مَا غَنِمُوهُ مِنْ أَسْلَابٍ . وَدَرْتُ بِبَصَرِي مُتَلَفِّتَةً فِي كُلِّ مَكَانٍ ، لِأَتَعْرِفَ مَصْدَرَ
 فِرَاقِهِمْ ، فَرَأَيْتُ الْجَبَّارَ - الَّذِي تَمَّ مَصْرَعُهُ عَلَى يَدَيْكَ - قَادِمًا عَلَى رَأْسِ هَضْبَةٍ عَالِيَةٍ
 بَعِيدَةٍ . فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ لَا ذُوَا بِالْفِرَارِ قَسَلِ أَنْ يَفْطِنَ إِلَيْهِمْ ، وَعَادَ الْجَبَّارُ إِلَى قَصْرِهِ ، وَهُوَ
 يَحْمِلُنِي عَلَى كَتِفَيْهِ . ثُمَّ شَغَلَهُ اللَّهُ عَنِّي بِجَمْعِ مَا غَنِمَهُ مِنَ الْأَسْلَابِ . وَقَدْ كَادَ يَفْتِكُ بِي ،
 لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ لِإِنْقَادِي . فَشُكْرًا لَكَ أَيُّهَا الْفَارِسُ النَّبِيلُ . »

١٥ - حَفْلَةُ الْعُرْسِ

وَمَا كَادَتْ الْأَمِيرَةُ تَنْتَهِي مِنْ قِصَّتِهَا حَتَّى أَقْبَلَ عَلَيْهَا الْأَمِيرُ « هَيْبَةُ اللَّهِ » مُتَلَطِّفًا ،
وَلَمْ يَدَّخِرْ جُهْدَهُ فِي مُوَاسَاتِهَا ، وَتَهْوِينَ مَا لَاقَتْهُ مِنْ مَصَائِبَ وَآلَامٍ . ثُمَّ خَتَمَ حَدِيثَهُ
يَسْأَلُهَا : أَتَرْضَى بِهِ زَوْجًا ؟ فَأَجَابَتْهُ : « إِنَّكَ مِثَالُ الْمَرْوَةِ وَالشَّهَامَةِ وَكَمَالِ الْخُلُقِ ،
وَلَيْسَ أَسْعَدَ لِنَفْسِي مِنْ تَحْقِيقِ مَا طَلَبْتَ . »

وَلَمْ تَكْذِبِ اللَّيْلَةُ التَّالِيَةَ تَحُلُّ ، حَتَّى تَمَّ زَوَاجُهُمَا . وَاحْتَفَى الْأَمْرَاءُ الْخَمْسُونَ فِي قَصْرِ
الْجَبَّارِ بِهِمَا ، وَأَقَامُوا فِي الْقَصْرِ أَيَّامًا ، ثُمَّ غَادَرُوهُ ، بَعْدَ أَنْ حَمَلُوا مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ نَفَائِسِهِ ،
عَلَى الْخَيْلِ وَالْجِمَالِ .

١٦ - غَدْرُ « حَنْظَلَةَ »

وَلَمْ يَكُنْ الْأَمِيرُ « هَيْبَةُ اللَّهِ » عَنْ إِخْوَتِهِ مَا كَانَ يُخْفِيهِ عَنْهُمْ مِنْ قِصَّتِهِ . فَكَانَ
فَرَحُهُمْ بِذَلِكَ لَا يَعْدِلُهُ إِلَّا حَزْنُ « حَنْظَلَةَ » الْحَاسِدِ . وَقَدْ بَدَّلَ الْخَبِيثُ كُلَّ جُهْدِهِ ، فِي
مُدَارَاةِ حَقْدِهِ ، وَرَاحَ يُوشِشُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ إِخْوَتِهِ عَلَى انْفِرَادِ أَنْ أَبَاهُمْ سَيَخْتَصِمُهُ
بِكُلِّ حُبَّةٍ : مَتَى عَلِمَ بِمَا ظَفَرَ بِهِ مِنْ تَوْفِيقٍ بَعِيدِ الْمَدَى . وَمَا زَالَ يَهْمُ يُغْرِيمُهُمُ بِالْكَيْدِ



لِأَخِيهِمْ وَاحِدًا
بَعْدَ وَاحِدٍ ،
حَتَّى أَوْغَرَ
صُدُورَهُمْ عَلَيْهِ ،
وَبَيَّتُوا مَعَهُ
الْغَدْرَ لِلْأَمِيرِ
« هَيْبَةُ اللَّهِ » .
وَكَانَتْ خُطَّةُ
الْخَبِيثِ
« حَنْظَلَةَ » أَنْ

يَنْتَهَزُوا فُرْصَةَ نَوْمِهِ فَيَتَعَاوَرُوهُ بِخَنَاجِرِهِمْ ، ثُمَّ يَتَسَلَّلُوا بِمَا مَعَهُمْ إِلَى مَدِينَةِ أَبِيهِمْ

هَارِبِينَ . وَقَدْ أَنْفَذُوا جَرِيمَتَهُمُ الشَّمَاءَ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ . وَلَمْ يَكِدِ الْفَجْرُ يَطْلُعُ حَتَّى تَفَزَّعَتِ الْأَمِيرَةُ لِمَصْرَعِ زَوْجِهَا ، وَحَاوَلَتْ أَنْ تَسْتَنْجِدَ بِإِخْوَتِهِ ؛ فَلَمْ تَجِدْ لَهُمْ أَثَرًا ، فَأَذْرَكَتْ أَنَّهُمُ الْجَانُونَ ، وَأَسْرَعَتْ إِلَى قَرْيَةٍ قَرِيبَةٍ تَتَكَلَّمُ لَزَوْجِهَا طَبِيبًا يَشْفِيهِ مِنْ جِرَاحِهِ . فَلَمَّا عَادَتْ وَمَعَهَا الطَّبِيبُ ، لَمْ تَجِدْ لِحُتَّةِ زَوْجِهَا أَثَرًا ، فَحَسِبَتْ أَنَّ بَعْضَ الْوُحُوشِ الضَّارِيَةِ التَّهَمَّتْهَا ، فَأَغْمَى عَلَيْهَا مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ ، وَبَذَلَ لَهَا طَبِيبُ الْقَرْيَةِ كُلَّ عِنَايَتِهِ . وَمَا زَالَ يَتَعَهَّدُهَا - أَيَّامًا وَلَيَالِي - حَتَّى شَفَاهَا مِنْ مَرَضِهَا . وَحَزِنَ الطَّبِيبُ لِقِصَّتِهَا ، فَعَزَمَ عَلَى اصْطِحَابِهَا إِلَى بِلَادِ السُّلْطَانِ « قَابُوسَ » لِيُقْضِيَ إِلَيْهِ بِمَا صَنَعَهُ الْحَقْدَةُ الْغَادِرُونَ .

١٧ - أَحْدَاثُ جِسَامٍ

وَكَانَتِ الْأَمِيرَةُ « فَيْرُوزَةُ » قَدْ رَحَلَتْ إِلَى مَدِينَةِ « قَابُوسَ » بَعْدَ أَنْ طَالَتْ غَيْبَةُ



وَلَدِهَا الْأَمِيرِ « هَبَةُ اللَّهِ » . وَلَمْ تَكِدْ تَسْأَلُ السُّلْطَانَ عَنْهُ ؛ حَتَّى أَذْرَكَ مِنْ حِوَارِهَا أَنَّ الْفَتَى الَّذِي أَنْقَذَ مُلْكَهُ مِنَ الْعُدْوَانِ ، هُوَ وَلَدُهُ . وَنَدِمَ « قَابُوسُ » عَلَى قَسْوَتِهِ أَشَدَّ النَّدَمِ .

وَذَاعَتْ أَنْبَاءُ الْقِصَّةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ . فَتَنَاقَلَهَا الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ . وَاشْتَرَكَ الْجَمِيعُ فِي الْحُزْنِ عَلَى أَمِيرِهِمُ الْغَائِبِ . وَمَا كَادَتْ الْأَمِيرَةُ « نَاهِدُ » وَطَبِيبُهَا يَصِلَانِ إِلَى مَدِينَةِ « قَابُوسَ » ، حَتَّى وَجَدَا الْجَمِيعَ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ حَدِيثٍ إِلَّا قُدُومُ « فَيْرُوزَةِ » بِأَحْسَنَةِ

عَنْ وَلَدِهَا ، وَاحْتِفَاهُ السُّلْطَانِ بِهَا ، فَأَسْرَعَا إِلَيْهَا ، وَقَصَّا عَلَيْهَا مَا صَنَعَهُ الْغَادِرُونَ بِوَلَدِهَا .
فَأَغْمَى عَلَى « فَيْرُوزَةَ » مِنْ فَرْطِ الْأَلَمِ . وَنَمَا الْخَبَرُ إِلَى السُّلْطَانِ فَاشْتَدَّ بِهِ الْحُزْنُ ،
وَعَزَمَ عَلَى التَّنْكِيلِ بِالْغَادِرِينَ ، جَزَاءَ خِيَانَتِهِمْ وَعُقُوبَتِهِمْ .

وَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِحَبْسِ أَوْلَادِهِ ، رَيْثَمَا يَنْفِذُ فِيهِمْ قَضَاءَهُ . وَمَا كَادَتْ شَمْسُ
الْيَوْمِ التَّالِي تَشْرِقُ ، حَتَّى تَعَالَتْ أَصْوَاتُ الْفِرْعِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ . فَأَظَلَّ السُّلْطَانُ مِنْ
قَضَرِهِ ، فَرَأَى الْجُنْدَ يَقْرُونُ أَمَامَ جَيْشِ الْغَزَاةِ الَّذِي دَهَمَهُمْ وَهُمْ آمِنُونَ . وَاسْتَوَلَتِ الْحَيْرَةُ
عَلَيْهِ وَعَلَى السُّلْطَانِ « قَابُوسَ » وَأَهْلِهِ وَحَاشِيَتِهِ ، وَلَمْ يَدْرُوا كَيْفَ يَصْنَعُونَ . وَلَمْ يَلْبِسُوا أَنْ
عَاوَدَهُمُ الرَّجَاءُ حِينَ رَأَوْا فَارِسًا يَتَحَجَّمُ صُفُوفَ أَعْدَانِهِمْ ؛ ضَارِبًا فِي أَقْفِيَّتِهِمْ ضَرْبَاتٍ مُخَكِّمَةً ،
لَا عَهْدَ لَهُمْ بِمِثْلِهَا ، وَهُوَ يَصِيحُ : « اخْسَئُوا أَيُّهَا الْغَادِرُونَ ؛ فَقَدْ جَاءَكُمْ « هِبَةُ اللَّهِ » . »
وَكَانَ لِاسْمِهِ فِعْلُ السَّحْرِ فِي نَفُوسِ الْفَرِيقَيْنِ ، فَقَوَّيَتْ قُلُوبُ أَوْلِيَائِهِ ، بِمِقْدَارِ مَا تَخَاذَلَتْ
عَزَائِمُ أَعْدَائِهِ . وَهَكَذَا ثَبَتَ الْمُؤَالُونَ ، وَهَرَبَ الْمُعَادُونَ . وَتَمَّ لِلْأَمِيرِ « هِبَةُ اللَّهِ » النَّصْرُ .

أَرَاكَ تَسْأَلُنِي : كَيْفَ سَلِمَ الْأَمِيرُ الشُّجَاعُ مِنْ جِرَاحِهِ ، بَعْدَ أَنْ أَشْرَفَ عَلَى التَّلَفِ ؟
وَهَلْ ضَاعَ ذَلِكَ فِيمَا ضَاعَ مِنْ تَفْصِيلِ الْقِصَّةِ ؟ وَقَدْ أَجَابَ الرُّوَاةُ عَنْ سُؤَالِكَ - لِحُسْنِ
الْحِظِّ - وَحَدَّثُونَا : أَنَّ زَارِعًا سَمِعَ أُنْدَانَهُ وَهُوَ سَائِرٌ فِي طَرِيقِهِ ، فَعَطَفَ عَلَيْهِ وَدَخَلَ
خَيْمَتَهُ ، وَنَقَلَهُ مُتَرَفِّقًا ، عَلَى جِوَارِهِ ، حَتَّى وَصَلَ بِهِ إِلَى دَارِهِ . ثُمَّ اسْتَدْعَى طَبِيبَ الْقَرْيَةِ
لِمُعَالَجَةِ ضَرْبِهِ الْجَرِيحِ وَكَانَتْ طَعَنَاتُ الْجُبْنَاءِ الْغَادِرِينَ - لِحُسْنِ الْحِظِّ - غَيْرَ
قَاتِلَةٍ ! فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ شَفَاهُ الطَّبِيبُ . وَلَمْ يَنْسَ لَهُمَا « هِبَةُ اللَّهِ » حُسْنَ صَنِيعِهِمَا ؛ فَمُنَحَ
كُلَا مِنْهُمَا بَذْرَةٌ مِنَ الدَّنَائِيرِ . وَبَيْنَمَا هُوَ عَائِدٌ إِلَى مَمْلَكَةِ أَبِيهِ ، إِذْ رَأَى جَمَاعَةً مِنْ
فُلُولِ جَيْشِهِ ، وَمَا كَادَ يَعْرِفُهُمْ بِنَفْسِهِ ؛ حَتَّى دَبَّ فِي نَفُوسِهِمُ الْأَمَلُ بَعْدَ الْيَأْسِ ، وَاجْتَمَعَ
مِنْ شَمْلِهِمْ مَا تَفَرَّقَ . وَكَانَتْ الْمَعْرَكَةُ قَدْ أَشْرَفَتْ عَلَى نِهَائِهَا ؛ فَأَسْرَعَ إِلَى الْأَعْدَاءِ ،
ضَرْبًا فِي أَقْفِيَّتِهِمْ ، وَطَعْنًا فِي صُدُورِهِمْ ، وَهُوَ يُنَادِي بِاسْمِهِ . فَدَبَّ فِي صُفُوفِهِمُ الرَّغْبُ ،
وَارْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ خَاسِرِينَ .

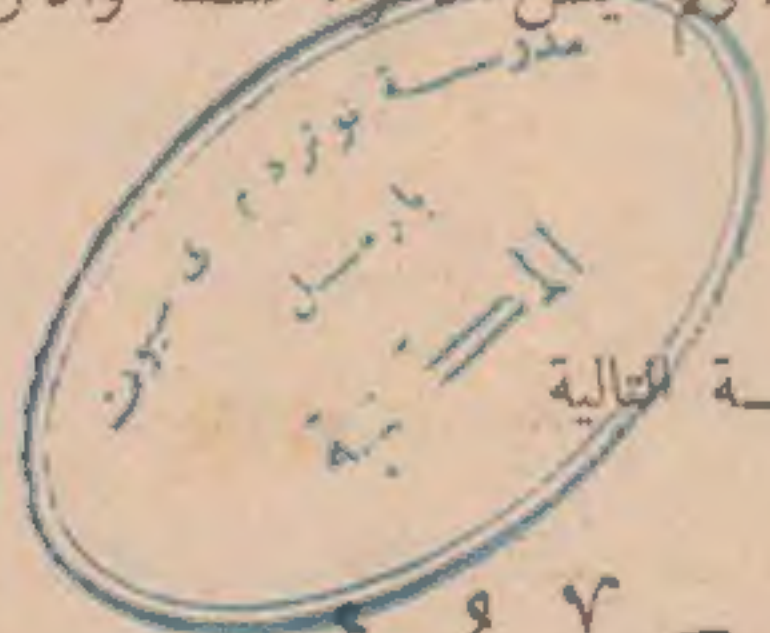
١٨ — خاتمة القصة

وانتهز الأمير فرصة البهجة الشاملة التي استولت على الجميع ؛ فالتمس من أبيه أن يطلق إخوته من سجونهم ، ويغفر لهم ذنوبهم . وما زال يستعطفه عليهم ، حتى ظفر بما أراد .

وكان درسا عظيما في المروءة والشهامة ، والنبل والكرامة ، والترفع عن الانتقام ، ومقابلة الإساءة بالإحسان . وكادت تنتهي القصة عند هذا الحد ؛ لولا أن الغضب الإلهي لم يفلت رأس الشر من العقاب ، فلم يكذ « حنظلة » يدخل السجن بعد انكشاف سره ، حتى خشي انتقام أبيه ، فأعمل حيلته في الخلاص ، وصبر إلى الليل ، وحاول أن يتسلل من سجنه ، في لفلة من حراسه ؛ متسلقا جداره العالي . فزلت قدمه ، وهوى على صخرة جاسية ؛ فدقت عنقه ، ولقي جزاء لؤمه .

ولاتسل عن فرح « قابوس » و « فيروزة » و « ناهد » بعودة « هبة الله » ؛ بعد أن استحكم بأسهم من لقائه . ولم تكن حفاوة الشعب بأقل من حفاوتهم به ؛ فانطلق يهتف باسمه في كل مكان .

وخلصت الأسرة من « حنظلة » المفسد ؛ فلم يدخل بينهم شيطان منذ ذلك اليوم . وعاش الإخوة جميعا متحايين متعاطفين . ولم ينس الأمراء التسعة والأربعون أنهم بحياتهم — لأخيهم — مدينون .



القصة التالية

الأمير المستحور

مكتبة الكيلاني للأطفال

نخبة من آراء حضرات أصحاب الرفعة والمعالى والسعادة وزراء المعارف

مرتبة أسماؤهم على الحروف الهجائية

... وهكذا نَجَحْتَ - يا أستاذ - في أن تُحَبِّبَ إلى الأطفالِ مكتبتَهُم وتُفَرِّهَهُم بالمطالعة^(١). ولئن أدركَ الأطفالُ - برياضِ الأطفالِ - مُراداً بعيداً ، لقد فَتَحْتَ لَهُم - بِمَكْتَبَةِ الأطفالِ - فَتْحاً جديداً . أدركتَ أربَ نفوسِهِم ، وأبدلتَهُم أنسا من عبوسِهِم ، وهيجتَ للمعالى أشواقَهُم ، وحسنتَ لِقَتَهُم وأخلاقَهُم^(٢). والأستاذ الكيلاني مُنِشئُ مَكْتَبَةِ الأطفالِ أديبٌ عالميٌّ جديرٌ بما يَهْدَفُ إِلَيْهِ مِنْ تَبِيلِ الأغراضِ^(٣). وإنه لِبَسْرُني - إذ أتابعُ مع التقديرِ هذا الجهدَ العلميَّ المتواصلَ - أن ألاحظَ مقدارَ العنايةِ التي تَبْذُلُونَهَا في هذا السَّبِيلِ ، والفائدةَ التي تعودُ على النَّشْءِ مِنْهُ ، بِتَهْيِئَةِ أَذْهَانِ الأطفالِ وعُقُولِهِمْ لِتَقْبُلِ خَيْرِ الأفكارِ والمعاني ، وتقديمِها لَهُمْ على مثلِ هذهِ الصُّورَةِ الطَّرِيفَةِ^(٤). فاللهُ يَكافِئُكَ عَلَى ما قَدَّمْتَهُ لِلْمَرْبِئَةِ مِنْ رَوَائِعِ أدبٍ ، تُضِيفُ إلى كُنُوزِها كُنُوزاً^(٥). وإني وقد تَتَبَعْتُ هذا المَجْهُودَ القِيمَ الْمُتَّصِلَ لَا يَسْفِي إِلَّا الإِعْجَابُ بما تُسَاهِمُونَ بِهِ في سَدِّ نَقْصِ يَشْمَرُ بِهِ جَمِيعُ الآباءِ في تَعْلِيمِ أطفالِهِمْ^(٦). فَشَكَرَ اللهُ لَكَ ما هَدَفْتَ إِلَيْهِ مِنْ تَنْشِئَةِ الطُّفْلِ مَشْبُوبِ الشَّغَفِ بِالْقِرَاءَةِ والدَّرْسِ ، مَوْفُورِ الْحِظِّ مِنْ مَتَاعِ الْفِكْرِ ، مُسْتَقِيمِ اللِّسَانِ على نَهْجِ الْبَيَانِ^(٧). فَهِيَ تَتَمَشَّى مع طِبَاعِ الطُّفْلِ الشَّرِيقِ وغرائِزِهِ حَتَّى يَتَرَعَّرَعَ . وَتَجْمَلُ الْحَلَقَةُ مُتَّصِلَةً بَيْنَ الْمَدْرَسَةِ وَالْبَيْتِ في قِصَصٍ مُناسِبَةٍ مُتَماسِكَةٍ مع نَفْسِيَّةِ الطُّفْلِ وَعَقْلِيَّتِهِ وَبَيْئَتِهِ وما يَهْوَى سَمَاعُهُ أَوْ يَمِيلُ لَوَعِيهِ ، بِأَسْلُوبٍ صَحِيحٍ فَصِيحٍ ، إِذَا حَفِظَهُ الصَّبِيُّ صَغِيراً نَفْعُهُ كَبِيراً^(٨). وَمِنْ ثَمَّ يَشُبُّ الطُّفْلُ ، وَقَدْ صَحَّتْ مَلَكَتُهُ ، وَأَشْرَبَتْ الْفُضْحَى فِكْرَتَهُ^(٩).

- | | | |
|--------------------------|---------------------------|-------------------------------|
| (١) أحمد لطفي السيد باشا | (٢) أحمد نجيب الهلال باشا | (٣) جعفر ولي باشا |
| (٤) علي ماهر باشا | (٥) محمد العشماوي باشا | (٦) محمد بهي الدين بركات باشا |
| (٧) محمد توفيق رستم باشا | (٨) محمد حلمي عيسى باشا | (٩) محمد علي علوبة باشا |

مكتبة الكيلاني للأطفال

القاهرة { مركز الدار ٣٢ شارع مني الأكر ٥٠٨١٨
 { فرع الدار ٢٨ شارع البستان

مجموعات كاملة تتدرج بقارئها من السنة الأولى الابتدائية إلى الرابعة الثانوية

ظهر حديثاً

١	الأرنب والعياد
جحا قال :	قالت شهر زاد :
الحمار القاري	الأكذوبة
وزة السلطان :	قاهر الجبارة
١ - ألف الدينار	حصان الجو
٢ - الوزنة الذهبية	الأمير الحادي والخمسون
٣ - الكاذب الحادي عشر	بنت الوزير
سوق الشطار :	أمير العفاريات
١ - البرميلان	كنز الشمردل :
٢ - جاذب الكرسي	١ - السمكتان الحراوان
٣ - منه الحظ	٢ - فاتح الكنز
٤ - قصص الشطار	صانع الأعاجيب
٥ - عجائب الطريق	الأمير المسحور
جحا في بلاد الجن	عجائب القصص
١ - مصباح الكهف	أرنب في القمر :
٢ - الأشقياء	ساكن القمر
تظهر قريباً : مدينة الزجاج	سفيرة القمر
	السعيد حسن

کامل کیلانی

قالت شهرزاد

الأمیر الحادی والخمسون



دارمکتبة الأطفال

التمن قرشان

القاهرة {مركز الدار ٣٢ شارع حسن الزكبر ٥٠٨١٨
فرع الدار ٢٨ شارع البستان}

مكتبة الكيلاني للأطفال

القاهرة [مركز الدار ٣٢ شارع من الأكبر] ٥٠٨١٨
[فرع الدار ٢٨ شارع البستان]

ثورة رشيدة ، أجمع على تأييدها ورراء المعارف وزعماء العلم وفودة الرأي في الشرق ، وكبار المستشرقين وأعلام التربية في الغرب .

أول مكتبة عربية عنت بتنشئة الطفل على أحدث أسس التربية الصحيحة .

توالت طبعاتها العربية فتتقف بها الجيل الجديد في بلاد العروبة ، ولم يحل منها بيت عربي .

ترجمت إلى أكثر اللغات الشرقية وبعض اللغات الغربية .

بمجموعاتها : تسائر التلميذ في نحو مائة وخمسين قصة ، رائعة الصور ، مديعة الإخراج .

متدرجة به من أول تعليمه الابتدائي إلى حتام تعليمه الثانوي .

ثم تسلمه إلى مكتبة الكيلاني للشباب .

مادتها : تقوم الخلق ، وتربي الذهن ، وتعلم الأدب .

فنرها : يشوق القارئ ويمتعه ويحبب الكتاب إليه .

لغزها : تنمي ملكة التعبير ، وتطبع اللسان على فصيح البيان .

مدرسها : إذا عرفها التلميذ سمى إليها بلوا ترغيب ولا ترهيب .

كانت أكبر أمانة للآباء ، وهي اليوم أسرى غزاه ثقافي للآباء .

تصدرها أكبر دور النشر في الشرق :

دار المعارف — ومكتبة عيسى الحلبي — والطاهر افواه

والطبعة المصرية — ودار مكتبة الأطفال

کامل کیلانی

قالت شہزاد

الأمیر الحادی والحمدیون

الطبعة الثانية

ربیع الأول ۱۳۶۸ هـ - يناير ۱۹۴۹ م

کل الحقوق محفوظة للمؤلف

دار مكتبة الأطفال

القاهرة [مركز الدار ۳۲ شارع حسن الأكبر] ۵۰۸۱۸
[فرع الدار ۲۸ شارع البستان]

مطبعة حجازي بالقاهرة

۱۰۴۴
۱۱۲

١ - تَمْهِيدُ الْقِصَّةِ

هذه قصة ، كثر ما فيها عجيب . وقد خراصت على نفاي ما تمكن قلبي منها ،
لما فيها من صرائف ودرة . ولم تقبل من فيمنها ما صرح مني على مر الأحيال . فقد
كان يحسن الخط قبيل الآخر . لا يقدم في حوادثها ولا يؤخر .
وإليك ما أقدرك من حوادثها وصورها ، وحنيفة لها من عظامها وعبرها .

٢ - « هبة الله » و « حنظلة »

كان « هبة الله » وحيد أمه « فيروزة » ، وآخر أبناء أبيه الشيطان « وئوس » .
وكان الشيطان « وئوس » قد تزوج « فيروزة » بعد أن كان عدد أولاده خمسين .
ولم يحدثنا رواية القصة : كيف أحب هذا العدد الضخم من الأبناء ، كما نسوا أن
تذكروا أسماءهم وأسماء أمهم . وحسب فعوا . فقلت حجة إلى مثال هذه التفصيل .
ومما تفعلك أن تعرف أسماء خمسة ، كثرهم من الصعاف الكسبي ، الذين قصوا
عمارهم الطويلة دون أن تذكروا أبداً : حسنك أن تعرف من بينهم اثنين :
أحدهم لا تذكر بعير الماء والأكبر ، ولا حر لا تذكر في نعمة والاحتقار .
ويصدهم من غير الأشياء . مما وثق بهم فهو تحل قصيب الأمير احدى واحسون ، وسنة :
« هبة الله » . وكان به حلي فيه أخير ، واعتز به المزوءة . وراضى عنه الله .

ومما به في فهو الأمير الثامن عشر ، وسنة : « حنظلة » . وكان على عكس منه
محل في سر السر . واعتز به الشيطان . وبنعمة الله . وما كان في وثق مرة ، إلا
وكان في لا حر منحه . وحنيفة تظهر حنيفة حنيفة .

وفي سمي وهم « وئوس » . فكان سما على سمي . عني : أن سنة كان مطية
بوصفه : قد كان ربع السمت (السنة) . نسي الضاعة . حمل الصورة .

وقد عصب الشيطان « وئوس » على روحه برفقة منيرة « فيروزة » - و
يحدثنا الرواة : ماذا عصبه من قصره من قصره ، وهي حبل ، وأعدده إلى حنيفة
السُّلطان « بهرام » .

يحدثنا حنيفة : ماذا عصب الشيطان . وحب عني بقمعة . وإن كان عصب

الضَّلَّ أَنَّ الْأَمِيرَ الثَّمِينِ عَسَرَ نَدَا فِي رَأْسِ الْمُؤَامَرَةِ ، أَتَى انْتَهَتْ بِخَوَالٍ قَلْبُهُمْ ،
وَنَفِيصِ عَشِيهِمْ . وَلَا رَالِ الْأَشْرَارُ فِي كُلِّ رَمَنٍ مُوَالِيَنِ بِالْإِسَاءَةِ إِلَى الْأَحْمَارِ ،
بِكُلِّ مَدَوِّعَةٍ تُؤَسِّسُهُمُ الْوَضِيعَةُ ، مِنْ دَسَائِسٍ وَأَذْيَاتٍ ، وَمَكَايِدَ وَإِسَاءَاتٍ . وَقَدِيمًا
قَالَ عَمَلُ الْحُكْمَاءِ : « لَا رَالِ الْأَشْرَارُ خَيْرٌ ، مَا لَا يُوجَدُ يَتِمُّ مَفْسَدُ » .

٣ - نَشَأَةُ الْبَطَلِ

وَكَمَا شَاءَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ أَنْ تَطْوِيَ هَذِهِ الْقِمَّةُ ، عَلَى رِجْلَيْ رِجْلَةٍ . فَاصْرَفَ
السُّلْطَانُ « نَهْرَامَ » إِلَى الْعِدَةِ بِمَنْشُورٍ أَشْرَفٍ ، وَلَمْ يَدَّخِرْ وَشَعْرًا فِي بَرِّ وَدِهِ يَفْتُونُ
الْمَعْرِفَةَ . وَوَكَانَ ذَلِكَ إِلَى أَقْدَرِ الْمُدْرِسِينَ ، وَأَتْرَعَ الْقُرْمَانِ . وَكَتَبَ الْفَتَى - فِي قَبْلِ
مِنَ الزَّمَنِ - مَا لَا يَكْتَسِبُهُ غَيْرُهُ فِي أَعْوَاءِ طُغَالٍ : مِنْ تَقْدِيرِ تَامِلَةٍ ، وَحِزْنَةٍ كَامِلَةٍ . وَجَمَعَ
بَيْنَ شَجَاعَةِ الْقَابِ ، وَالْخَيْرَةِ بِأَصُولِ الْحَرْبِ ، وَانْتَرَسَ يَفْتُونُ الطَّمَنِ وَالصَّرَبِ .
فَمَا بَلَغَ مَنَعُ الرِّجَالِ ، دَوَى أَسْمُهُ فِي خَمِيمِ الْآفَقِ . وَمَا رَالِ شَأْنُهُ كَثُرَ حَتَّى
أَصْبَحَ وَرِسَ رَمَاهُ بِالْمَدْرِجِ ، وَهَيْبَةُ أَلْبَتِ الشَّجْعَانِ قَامَا . وَاشْتَدَّ قَرْعُ أَعْدَائِهِ مِنْهُ ؛
حَتَّى أَصْبَحَ أَسْمُهُ وَخَدَهُ كَافِيًا - فِي آخِرِ تَمَرِهِ - بِمَنْ فِي خِيُوسِهِمْ ، وَشَسِيتِ خُمُوعِهِمْ .
فَكَانَ كَافِيًا بِرَمَاهِهِمْ ، وَتَمَرِهِمْ خُمُوعِهِمْ ، أَنْ يَقَالَ : « حَاءَ هِنَةُ اللَّهِ » .

وَكَانَ كَثِيرًا مِنْ سَحَوَانٍ ، وَشَتَّى فِي مَسَاكِبِ الْأَرْضِ ، مِنْ حِينٍ وَحِينٍ - عَلَى
عَادَةِ الْأَمْرَاءِ فِي عَشِيرَةِ - طَلَبَ تَمَجُّدٍ وَحُسْنِ الْأَحْدُوَّةِ . فَدَاعَ صِينُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ .

٤ - وَاجِبُ الْأَبُوَّةِ

وَأَتَمَّ إِلَى سَمْعِ الْأَمِيرِ - ذَلِكَ يَوْمَ - أَنْ جَمَاعَهُ مِنَ الْأَشْرَارِ قَدْ جَمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى
إِسْهَارِ فَضْلِ الشَّيْءِ ، بِمُجَمَّعٍ أَجْبَهُ وَعَبْرٍ مَدْرَسَةٍ ، وَأَعْيَصَ مَمَّا سَكَنَهُ . فَتَمَّ نَظْمُ الْبَقَاءِ
أَحْطَةً وَاحِدَةً ، وَأَسْرَعَ إِلَى مَهْرٍ يَسْتَدِيرُ فِي الْمُدْرَةِ إِلَى نُصْرَةِ أَبِيهِ . وَلَمْ تُصَدِّقْ أُمُّهُ
أَنَّ أَحَدًا يَجْرَأُ عَلَى مَهْجَمَةِ السُّلْطَانِ « وَنُوسَ » وَدَفَعَتْ مَحَبَّتُهَا يَدَهَا إِلَى تَنْشِيطِ عَزَمِهِ ،
وَتَمْنِيَةِ هِمَّتِهِ عَنِ السُّفْرِ . وَدَارَ يَتِيمُهُ حَوْزَ طُغَالٍ ، حَمَمَتُهُ « فَيُورَةُ » وَهَيْبَةُ : « مَا أَظُنُّ
أَنَّكَ تُفَكِّرُ فِيكَ ، مَهْدُ طَرْدِ أُمِّكَ مِنْ بِلَادِهِ . ذُو ذَنْبٍ حَمَمَةٍ . وَتَنْتَ حِينَ لَا تَقْطُرُ
لِلْوُخُودِ . وَلَا تَنْسَى أَنَّ لِأَبِيكَ مِنَ الْأَوْلَادِ حَمَسِينَ ، كَمَا تَرُدُّكَ : سِدًّا وَنَحْرِيَّةً ، فَتَنْ

بريدهم إلا واحدا . ولو فكر فيك لاستدعاه . « فَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ غَرَمٍ
« هَمَّهُ اللَّهَ » . وَحَسِبَ . فِي غَيْرِ رَدْدٍ : « سَيِّئَ عَمَلِي - بَأْسًا - أَنْ يَفْكَرَ أُنَى فِي
أَمْرِي . وَ لَا فِكْرٌ : بَيْنَ وَجِبِ لَا يَوْفَ تَقْصِيصِي شَأْنِ حَرْبِ عُدَاؤِهِ . وَ لَا مَكْرَ لِي
وَصَارَ دَنِي . وَ هَمَّيْتُ لِي سَيِّئَ عَمَلِي . وَ مُحَلَّ أَنْ سَيِّئَ عَمَلِي إِحْدَانِ . وَ أَرْضَى لَهُ أَهْوَا . »
فَمَا مِمَّا « قَبْرُورَةُ » أَنْ تَطِيرَ بِوَلَدِهَا الشَّجَاعِ إِعْجَابًا بِهِ . وَ قَدْ سَهَرَهُمَا رَأْسُ
مِنْ كَرِيمِ سَمَائِهِ . وَ لَمْ تَرُدَّ فِي الْأَذْنِ لَهُ بِالْمَقَرِّ . وَ الْبَعْدُ .

وَسَرَّاعَاتٍ مَا وَدَّعَهَا . وَ كَرَاهٍ دَعْوَاهَا . وَ هُوَ شَبَابُ الْفَرَحِ قَرِيبَ لِقَاءِ أُمِّهِ .

٥ - نَصْرُ حَاسِمٍ

وَمَارِئًا « هَمَّهُ اللَّهَ » . إِجْرًا لِنَيْرٍ . حَتَّى سَمِعَ مَسْكَةً أُمِّهِ . فَبَيْنَ خُلُوفٍ فَصَلَ
الشَّجَاعِ . وَ لَمْ يَكُنْ يَمُتَلِئُ بَيْنَ يَدَيْهِ . حَتَّى حَبَرَهُ مَا جَاءَ لِأَخِيهِ . فَقَدْ أَنْ أَدْفَى عَمَلُهُ
وَأَدَّى إِلَيْهِ نَحْمَةً مِنْ « قَبْرُورَةُ » . لَمْ تَعْرِضْ عَمَلَهُ مَا عَمَلَهُ مِمَّا جَاءَ أَعْدَاؤُهُ . مِنْ حُطَّةٍ
حَرْبِيَّةٍ بَارِعَةٍ . كَمَبَالَةٍ يَمُرُّ فِي شَمَائِهِ . وَ حَبِطَ كِبَرُهُ . وَ عَجِبَ الشَّيْطَانُ « وَ بَوَسَ »
بِالْقَائِدِ الْقَتْلِ . وَ عَظُمَ شَأْنُهُ فِي عَيْدِيهِ : هَذَا أَنْ رَأَى مِيرَدَ لِقَاءِهِ مِنْ يَدِ صَبِيرَةٍ .
وَ صِدْقِ سَرِيرَةٍ . وَ صَفَا فِكْرِهِ . وَ إِحْسَاكَمَ يَدَيْهِ . سَعْدًا لَا تَقْطُرُ مِثْلَهَا إِلَّا بَارِعُ
مَوْهُوتٍ . مُمَرَّسٍ بِالْخَطُوبِ . حَمِيرًا كَتَسَابِ الْخُيُوبِ . وَ لَمْ تَرُدَّ الشَّيْطَانُ فِي إِجَابَتِهِ
إِلَى طَبْعِهِ : فَقَدْ أَنْ أَحْمَدَ أُمَّهُ كَأَنَّ قِيَمَهُ . فَامْرَأَةٌ عَلَى رَأْسِ فَيْتَقٍ كَبِيرٍ . مِنْ حَبِيرَةٍ
جُنْدِهِ الْمُدْرِينَ . وَ بَدَحَتْ حُطَّتُهُ نَوْفَى نَجَاحٍ . وَ انْصَرَّ عَلَى أَعْدَائِهِ نَصْرًا حَاسِمًا : فَقَدْ
أَنْ كَمَنْ فِي مُنْتَصَفِ طَرِيقِهِ إِلَى حَاضِرَةِ أُمِّهِ . وَ وَجَدَهُ - مِنْ حَيْثُ لَا يَتَوَقَّعُونَ
مَفْخَذًا صَدِيقَةً . وَ دَفَّتِ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ . وَ وَقَعَتْ إِحْدَانُ بَيْنَ ضَمُوفِهِمْ . فَجَاءَ إِحْدَا
لِبُنْجَةٍ وَسَبِيَّةٍ غَيْرِ الْفَرَارِ . بِرَكِيْنٍ لَهُ كَلِمَاتُ عَدُوْدٍ مِنْ أَسَالِبِ وَعَدَدٍ .

وَهَكَذَا عَادَ حَلَّ قِصَّتِهِ إِلَى أُمِّهِ . فَقَدْ أَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ النُّصْرُ . وَ كَتَسَبَ مَحْمَدَةُ الْخَمْدِ .
وَلَا سَلَّ عَنْ إِعْجَابِ السُّجُلِ « وَ بَوَسَ » . بِدَرَسِ الشَّبَابِ أَدْرَى سَافَهُ بَيْنَهُ خَطَّةُ
السَّيِّئَةِ : لِأَعْزَارِهِ وَ حَضَرِهِ . وَ صَوْنٍ مَكِيهِ وَ شَدَّ رُيْدِهِ . وَ لَمْ يَحِمْ مِنْ كَفَيْتِهِ بِهِ إِلَّا أَنْ

وَمَرَّةً عَلَى خَيْشٍ كَثِيرٍ . وَمَا يَحْوِيهِ مِنْ ثَمَرٍ وَدَدَةٍ وَخَنَدٍ . وَصَبَّحَ الْأَمْرَاءُ الْخَمْسُونَ
— فَمَذَّ ذَيْبُ الْمَوْزِ — حَتَّى مَلَاقَى سَجْعٍ . أَيْ خَمْسَةَ عَشَرَ مِنْ الصَّبَاحِ

٦ — كَيْدُ الْحَاسِدِ

وَفَرَّحَ الْإِخْوَةُ . وَرَدَّ « هَيْهَاتَهُ » غَدَابَةً . وَجَافَ كَيْدُهُ مِنْ وَرْشِهِ وَرِجَالِهِ . وَبَدَأَ
يَسْتَعِينُ بِأَلْفِ حَمِيصَةٍ . وَثَبَّتْ سَائِلُ الْعَادِرِ إِلَى حَرَابَتِهَا . فَمَدَّ يَدَهُ حَتَّى
حَقَّقَ غَايَةَ . وَوَعَدَ لَهُ . وَوَعَدَ حَتَّى مَلَاقَى مِنْ قُورٍ . وَهَرَبَ فَرَّاحٌ مِنْهُ فِي صَدُورِ حَوَارِهِ .
كَمَا يُسَمِّسُ الشَّيْطَانُ الْمَعِينِ . فِي صَدُورِ الْأَمِينِ الْإِدْعَى . فَسَعَتِهِ وَحَسَابُ . وَغَمَمَ
عَنِ الْحَقِّ وَصَدَّ . وَمَرَّ (حَمِيصَةً) . يَجِيءُ حَتَّى وَغَرَّ صَدُورَهُمْ (مَدَّ يَدَهُ) . فَتَمَادَوْا
أَرَاهُ الْحَاضِي . وَسَأَلُوهُ أَنْ يَرْفَعَهُمْ . مَا أَعَدَّ مِنْ حِمِيصَةٍ قَدِيمَةٍ . فَقَالَ « لَيْسَ مِنْ
الْجَزَاءِ أَنْ تَقْبَلَ الْغَنَى . وَمَا أَمِنْ أَنْ تَكْشِفَ خَرِيصَتَهُ . وَفَرَّاقِي مِنْ أَرْمَنِ وَكَنْبَرٍ .
وَهَيْبَتِ أَنْ تَقْبَلَ . إِذَا فَتَحَ السَّرَّ . مِنْ عَقَبِ شَامَانَ . وَتَقَمَّ حِمِيصَةً . وَوَسَّحَ
الشَّعْبُ . » فَقَالُوا لَهُ : « فَمَا أَعَدَدْتَ مِنْ حِمِيصَةٍ إِلَّا بَعْدَ مَمْلَكَةٍ : » وَجَابَهُمْ بِسَمَةٍ :
« الرَّاغِبُ عَمْدِي . مَحَالٌ عَمْدُهُ . وَبَصَحْتُ بِمَمْلَكَةٍ . نَحْنُ نَحْبِسُ فُرْصَةَ الْبَهْرِ بِمَمْلَكَةٍ .
وَعَيْبٌ عَنِ الْمَمْلَكَةِ سَهْرٍ كَمَلٍ . » وَرَدَّ يَدَهُ وَفَرَّحَ مِنْهُ بِأَلْفِ .
وَسَأَلَهُ بِحَوْلِهِ مَنْعُ حَمِيصَةٍ : « فَمَاذَا يَضِيرُ » هَيْهَاتَهُ « أَنْ نَغِيْبَ عَنِ الْمَدِينَةِ شَهْرًا
وَأَشْهَرِيهِ : » وَجَابَهُمْ مِنْجِدِي : « بَلْ لَسْتُ . » مِنْ رَأَى حَرَجٍ مَعْدَانَةٍ عَوْدَ إِلَى
الْمَدِينَةِ وَخَنَدٍ . سَوْرَةٌ شَتَّى فِي ثَمَرِهِ . وَفَرَّاقِي وَخَمْسُونَ . وَفَرَّاقِي مِنْ حَمِيصَةٍ .
مَرَيْنِ : الطَّارِدُ . وَاقْبَلِ . وَسَرَّاحٌ مِنْهُ عَلَى كَمَلِ الْحَاضِي .

فَلَمْ يَتَمَلَّكِ الْأَمْرَاءُ أَنْ انْقَادُوا لِاقْتِرَاحِ أَحْبَابِهِ . وَفَرَّاقِي عَلَى مَا يَنْبَغُ مِنْ سَرَرٍ

٧ — نَجَاحُ الْمَوَامِرَةِ

وَمَدَّ يَدَهُ فَلَانٍ . حَرَجَ ثَمَرُ مَرُورٍ . وَمَعَهُ الْأَمِيرُ نَجْدِي وَخَمْسُونَ .
وَمَدَّ يَدَهُ سَاعُونَ الْعَامَ حَتَّى غَرَى « حَمِيصَةً » خَدَّ . هَيْهَاتَهُ « مَدَّ يَدَهُ عَزَّيْزٍ يَتَرَدَّدُ .
وَرَجَدَ أَنْ تَقْتَصِبَهُ لَهُ . دُونَ أَنْ مَنَّهُ سَوْرَةٌ . فَكَلَّمَ حَبِيبَ هَيْهَاتَهُ « رَجَدَ » (حَمِيصَةً) .
وَسَرَّعَ إِلَى عَزَالٍ طَارِدَةٍ : حَتَّى عَابَ عَنْ عَيْنٍ . وَخَمِيرٍ عَادِرٍ فُرْصَةَ التَّبَعَةِ .

فَانْزَوَى بِإِخْوَتِهِ فِي مَخْبَأٍ مِنَ الْغَابَةِ أَمِينٍ . فَلَمَّا عَادَ « هَبَةُ اللَّهِ » بِالْغَزَالِ ، لَمْ يَغْتَرِ لَهُمْ عَلَى أَثَرٍ . فَوَاصِلَ بَحْنُهُ عَنْهُمْ ، فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى مَقَرِّهِمْ .

وَكَانَ السُّلْطَانُ « قَابُوسُ » يَنْتَظِرُ عَوْدَةَ أَوْلَادِهِ بِفَارِغِ الصَّبْرِ ؛ فَلَمْ يَكْذِرْ بِرِ « هَبَةُ اللَّهِ » يَعُودُ وَحْدَهُ ، حَتَّى خَامَرَهُ الشَّكُّ فِي أَمْرِهِ ، وَاشْتَدَّ بِهِ الْقَلْقُ عَلَى أَوْلَادِهِ . وَحَاوَلَ « هَبَةُ اللَّهِ » أَنْ يَتَكَلَّمَ ؛ فَلَمْ يَجِدْ لِكَلَامِهِ سَمِيعًا . وَقَدْ خَيْرَهُ السُّلْطَانُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ : أَنْ يَعُودَ بِهِمْ إِلَيْهِ كَمَا ذَهَبَ مَعَهُمْ ، أَوْ يَفَارِقَهُ فِرَاقَ الْأَبَدِ . فَإِذَا أَبَى إِلَّا الْبَقَاءَ ، فَالْقَتْلُ لَهُ جَزَاءٌ . فَخَرَجَ الْأَمِيرُ « هَبَةُ اللَّهِ » مِنْ مَدِينَةِ أَبِيهِ حَيْرَانَ ؛ لَا يَدْرِي : أَيْنَ يَقْصِدُ ، وَلَا إِلَى أَيِّ مَكَانٍ يَتَّجِهُ ؟

٨ - سَجِينَةُ الْجَبَّارِ

وَانْقَضَتْ أَيَّامُ ثَلَاثَةِ عَشَرَ ، دُونَ أَنْ يَغْتَرِ لِإِخْوَتِهِ عَلَى أَثَرٍ . ثُمَّ لَاحَ لَهُ فِي الْيَوْمِ التَّالِي ، قَصْرٌ شَاهِقٌ ، فَمَشَى فِي طَرِيقِهِ إِلَيْهِ حَتَّى اقْتَرَبَ مِنْهُ . فَرَأَى فَتَاةً حَسَنَاءَ تَطْلُ مِنْ نَافِذَتِهِ ، وَهِيَ تَبْكِي حَظَّهَا التَّامِسَ . فَسَأَلَهَا عَنْ سَبَبِ بُكَائِهَا . فَتَوَسَّلَتْ إِلَيْهِ ، رَاجِيَةً أَلَّا يَشْغَلَ نَفْسَهُ بِأَمْرِهَا ، وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ أَنْ يُسْرِعَ بِالْفِرَارِ ؛ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَهُ الزَّنْجِيُّ الْجَبَّارُ . وَحَاوَلَ أَنْ يَهْدِي مِنْ خَوْفِهَا وَفَزَعِهَا . فَصَاحَتْ بِهِ مُرْتَجِفَةً : « عَجَلْ بِالْفِرَارِ أَيُّهَا الْفَتَى ، وَإِلَّا أَوْقَعْتُكَ سَوْءَ حَظِّكَ فِي قَبْضَةِ صَاحِبِ الْقَصْرِ كَمَا أَوْقَعَنِي . » فَلَمَّا رَأَتْهُ ثَابِتَ الْقَلْبِ ، بِاسْمِ الثَّغْرِ ، صَرَخَتْ قَائِلَةً : « بِرَبِّكَ إِلَّا مَا عَجَلْتَ بِالْفِرَارِ ؛ فَلَنْ يَرْحَمَكَ الْجَبَّارُ ، إِذَا رَأَاكَ ، وَلَنْ يُشْفِقَ عَلَى شَبَابِكَ الْغَضُّ . مَا بِأَلَاكَ لَا تُصْنِي إِلَى نَصِيحَتِي ؟ عَجِيبٌ مَا أَرَاهُ مِنْ جُرْأَتِكَ ! وَاحْتِقَارِكَ لِلْخَطَرِ وَاسْتِهَانَتِكَ . أَنْجُ بِنَفْسِكَ ؛ فَقَدْ أَلِفَ الْجَبَّارُ أَنْ يَأْكُلَ أَسْرَاهُ ، وَيَبْطِشَ بِكُلِّ مَنْ يَلْقَاهُ ، أَوْ يَقَعُ عَلَيْهِ عَيْنَاهُ . »

٩ - ذَهْشَةُ الْجَبَّارِ

فَأَجَابَهَا « هَبَةُ اللَّهِ » إجابةً الْوَائِقِ بِنَفْسِهِ : « إِذَا كَانَ جَبَّارُ الْقَصْرِ كَمَا وَصَفْتَ ، فَكَيْفَ أَتْرُكُ فَتَاةً كَرِيمَةً مِثْلَكَ تَتَعَرَّضُ لِقَسْوَتِهِ وَبَطْشِهِ ؟ إِنْ الْمَوْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ وَأَكْرَمُ مِنَ التَّخَلِّي عَنِ الْوَاجِبِ . وَسَتَرَيْنِ كَيْفَ أَنْقَذُكَ مِنْ ظُلْمِهِ ، بَعْدَ أَنْ أَضْرَعَهُ وَأَضْبِغَ الْأَرْضَ بِدَمِهِ . »

وَمَا كَادَ يُتِمُّ قَوْلَتَهُ ، حَتَّى رَأَى الزَّنْجِيَّ الشَّرِيسَ مُيَمَّمًا نَحْوَهُ عَلَى ظَهْرِ حِصَانِهِ ،

وَهُوَ يَهْزِهِ سَيْفُهُ : مُلَوِّحًا بِهِ مُتَبَدِّدًا ، مُنْذِرًا مُتَوَعِّدًا ، وَقَدْ انْبَعَثَتْ مِنْهُ صَرَخَاتُ مُجْلِحِلَةٍ
فِي الْفُضَاءِ ، كَفِيلَةٍ بِتَفْزِيعِ أَقْوَى الْأَقْوِيَاءِ . وَلَا تَسَلْ عَنْ دَهْشَةِ الْجَبَّارِ حِينَ رَأَى « هِبَةً
اللَّهِ » ثَابِتًا فِي مَكَانِهِ ، لَمْ يَتَفَرَّغْ مِنْ لِقَائِهِ ، وَلَمْ يَهَبْ ، وَلَمْ يُفَكِّرْ فِي الْفِرَارِ وَالْهَرَبِ .
١٠ - مَضْرَعُ الْغُولِ



وَكَانَ قَدْ أَلْفَ مِنْ كُلِّ مَنْ لَقِيَهُ مِنَ
الْفُرْسَانِ ، أَنْ يُسْرِعَ أَشْجَعُهُمْ بِالْهَرَبِ مِنْهُ ؛
إِذَا اسْتَطَاعَ إِلَى الْهَرَبِ سَبِيلًا ، فَإِذَا ضَيَّقَ عَلَيْهِ
الْخِنَاقَ ، تَفَكَّكَتْ أَوْصَالُهُ ، وَأُغْمِيَ عَلَيْهِ
مِنْ فَرْطِ الرُّعْبِ . وَلَمْ يُصَدِّقِ الْجَبَّارُ أَنَّ أَحَدًا
يَجْرُو عَلَى مُوَاجَهَتِهِ ، فَضَلًّا عَنْ
تَحْدِيدِهِ وَمُجَابَهَتِهِ .

وَحَسِبَهُ الْجَبَّارُ مَخْبُولًا أَوْ
مَعْتُوهاً ، سَاقَهُ أَجَلُهُ إِلَيْهِ ، وَدَفَعَهُ
سُوءَ حَظِّهِ لِيَلْقَى مَضْرَعَهُ عَلَى
يَدَيْهِ . وَابْتَدَرَهُ الرَّنْجِيُّ



بِضْرَبَةٍ هَائِلَةٍ مِنْ سَيْفِهِ ، كَانَ الظَّنُّ أَنْ تَقْضَى عَلَيْهِ ، لَوْلَا مَا مَيَّزَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ بَرَاعَةٍ وَمَرَانَةٍ عَلَى أَسَالِيبِ الْحَرْبِ ، وَخَيْرَةٍ بِأُصُولِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ . وَلَمْ يَكَدْ « هِبَةُ اللَّهِ » يَتَلَا فِي الضَّرْبَةِ ؛ حَتَّى وَثَبَ عَلَى عَدُوِّهِ فِي رَشَاقَةٍ نَادِرَةٍ ، وَهَوَى بِسَيْفِهِ عَلَى رُكْبَةِ الْجَبَّارِ بِضْرَبَةٍ كَادَتْ تُذْهِلُهُ لِشِدَّةِ الْأَلَمِ . وَحَاوَلَ الْجَبَّارُ أَنْ يَتَجَلَّدَ وَيَسْتَمْسِكَ ؛ وَقَدْ ضَاعَفَ الْأَلَمُ مِنْ غَيْظِهِ . وَرَأَاهُ « هِبَةُ اللَّهِ » ، وَهُوَ يَتَحَقَّرُ لِلانْتِقَامِ ، فَعَاجَلَهُ بِضْرَبَةٍ ثَانِيَةٍ ، بَتَرَتْ (قَطَعَتْ) يُمْنَهُ ، فَهَوَتْ إِلَى الْأَرْضِ ، وَفِي قَبْضَتِهَا سَيْفُهُ . وَبَرَّحَ بِهِ الْأَلَمُ ، فَهَوَى إِلَى الْأَرْضِ خَائِرَ الْعَزِيمِ ، وَاهِنَ الْقَوَى . فَهَوَى صَاحِبُنَا عَلَى رَقَبَتِهِ بِضْرَبَةٍ ثَالِثَةٍ ، أَطَاحَ بِهَا رَأْسُهُ عَنْ جَسَدِهِ .

١١ - سِرْدَابُ الْأَسْرَى

وَمَا كَادَتْ الْفَتَاةُ تَشْهَدُ مَضْرَعَ الْغُولِ الْأَدَمِيِّ الْأَسْوَدِ ، حَتَّى انْبَعَثَتْ مِنْهَا صَيِّحَاتُ الْإِعْجَابِ بِشَجَاعَةِ الْأَمِيرِ الْفَتَى ، وَانْدَفَعَتْ إِلَيْهِ تَفْمِيرُهُ بِعِبَارَاتِ الثَّنَاءِ وَالشُّكْرِ ، عَلَى مَا هَيَّأَهُ لَهَا مِنْ فُرْصَةٍ لِلنَّجَاةِ مِنْ شَرِّهِ . فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا « هِبَةُ اللَّهِ » يُطَمِّنُهَا ، وَيَسْأَلُهَا : مَا قِصَّتُهَا ؟ وَمَاذَا أَوْقَعَهَا فِي قَبْضَةِ الْأَسْوَدِ ؟ وَكَانَ لَتِلْكَ الْفَتَاةِ - عَلَى الْحَقِيقَةِ - مَأْسَاةٌ فَرِيدَةٌ ؛ جَمَعَتْ فُنُونًا مِنَ الْبُؤْسِ ، وَالْوَانَا مِنَ الشَّقَاءِ ، وَاشْتَرَكَ فِي تَأْلِيلِهَا عَجَائِبُ مِنْ سُوءِ الْحَظِّ ، وَمُفَارَقَاتُ مِنْ نَكْدِ الطَّالِعِ . ثُمَّ خُتِمَتْ بِاسْتِيْلَاءِ الْجَبَّارِ عَلَيْهَا أَسِيرَةً ، قَبْلَ أَنْ يَهَيَّيَ اللَّهُ لَهَا فُرْصَةَ النَّجَاةِ مِنْ شَرِّهِ ، عَلَى يَدِ « هِبَةِ اللَّهِ » .

وَكَانَ أَوَّلَ مَا بَدَأَتْهُ بِهِ ؛ أَنْ أَفْضَتْ إِلَيْهِ بِمَا يَفِيضُ بِهِ قِصْرُ الزَّانِجِيِّ مِنَ الْأَسْرَارِ ، وَأَطْلَعَتْهُ عَلَى كُنُوزِهِ الطَّائِلَةِ ؛ كَمَا أَطْلَعَتْهُ عَلَى سِرْدَابِهِ الْكَبِيرِ ، الَّذِي كَانَ يَسْجُنُ فِيهِ كُلُّ مَنْ يُوقِعُهُ سُوءُ حَظِّهِ فِي قَبْضَتِهِ ؛ لِيَتَّخِذَ مِنْ لُحُومِهِمْ كُلِّ يَوْمٍ فَطُورَهُ وَغَدَاءَهُ وَعَشَاءَهُ . وَسُرَّعَانَ مَا صَحِبَ الْفَتَاةَ إِلَى السِّرْدَابِ ؛ بَعْدَ أَنْ انْتَزَعَ مِفْتَاحَ أَبْوَابِهِ الْمُعَلَّقَةِ بِحِزَامِهِ . وَلَمْ يَكَدْ يَهْبِطُ دَرَكَاتٍ مِنَ السَّلَمِ حَتَّى أَذْهَشَهُ مَا رَأَاهُ عَلَى وُجُوهِ الْأَسْرَى مِنْ أَمَارَاتِ الرُّعْبِ وَالْفَزَعِ ؛ حِينَ سَمِعُوا صَرِيرَ الْبَابِ وَهُوَ يُفْتَحُ . وَكَانُوا يَحْسَبُونَ الْوَحْشَ الْأَدَمِيَّ قَادِمًا عَلَيْهِمْ لِيَخْتَارَ مِنْهُمْ مَنْ يَشْوِيهِ لِيَأْكُلَهُ - عَلَى عَادَتِهِ - كُلِّ يَوْمٍ . فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّ الْجَبَّارَ قَدْ لَقِيَ مَضْرَعَهُ عَلَى يَدِ الْأَمِيرِ الْفَتَى ؛ تَبَدَّلَ خَوْفُهُمْ أَمْنًا ، وَيَأْسُهُمْ رَجَاءً ، وَالتَفَوْا حَوْلَ الْأَمِيرِ الشَّجَاعِ ، يَمْرُجُونَ لَهُ صَادِقَ الشُّكْرِ بِخَالِصِ الدُّعَاءِ .

١٢ - الإخوة الخمسون

وَلَا تَسَلْ عَنْ دَهْشَةِ الْأَمِيرِ « هَبَّةِ اللَّهِ » ، حِينَ رَأَى إِخْوَتَهُ الْخَمْسِينَ ، يَخْرُجُونَ مِنْ بَيْنِ الْأَسْرَى ، وَيَتَهَافَتُونَ عَلَيْهِ فَرَحَانِينَ بِمَا وَفَّقَ إِلَيْهِ مِنْ نَجَاحٍ فِي قَتْلِ الزَّنجِيِّ . وَكَانَ فَرَحُ الْأَمِيرِ بِإِقَاءِ إِخْوَتِهِ ، لَا يَقِلُّ عَنْ فَرَحِهِمْ بِالنَّجَاةِ مِنْ قَبْضَةِ الْوَحْشِ الَّذِي كَانَ آكِلَهُمْ لَا مَحَالَةَ ، كَمَا أَكَلَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأَسْرَى النَّاعِسِينَ .

فَرَحَ أُولَئِكَ الْأَسْرَى ، مَا عَدَا الْأَمِيرَ الثَّامِنَ عَشَرَ . فَقَدْ كَانَ - لِفَرْطِ حَقْدِهِ - يُؤَثِّرُ أَنْ يَأْكُلَهُ الْجَبَّارُ ؛ عَلَى أَنْ يَظْفَرَ مُنَافِسُهُ بِهَذَا الْإِنْتِصَارِ . وَرَأَى « هَبَّةُ اللَّهِ » فِي قَصْرِ الْجَبَّارِ ، كُنُوزًا لَا تُحْصَى ، مِمَّا جَمَعَهُ فِي حَيَاتِهِ الظَّالِمَةِ . فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْأَسْرَى بِالسَّوَاءِ . وَانْصَرَفَ الْمَسْجُونُونَ ، عَائِدِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ شَاكِرِينَ .

١٣ - حَدِيثُ الْمَائِدَةِ

وَلَمْ يَبْقَ فِي قَصْرِ الْجَبَّارِ غَيْرُ الْفَتَاةِ وَالْأَمْرَاءِ الْخَمْسِينَ . وَأَعَدَّتْ لَهُمُ الْفَتَاةُ عَشَاءً فَاحِرًا . فَجَلَسُوا عَلَى الْمَائِدَةِ يَتَحَدَّثُونَ ، وَقَضَوْا لَيْلَةً هَادِئَةً سَعِيدَةً . وَمَا زَالُوا يَسْمُرُونَ ، حَتَّى حَانَ مَوْعِدُ النَّوْمِ ؛ فَانْصَرَفُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَادِعِينَ . وَكَانَ أُعْجِبَ مَا دَارَ عَلَى الْمَائِدَةِ مِنْ أَحَادِيثَ ، قِصَّةِ الْفَتَاةِ النَّاعِسَةِ ، الَّتِي سَجَّهَا الْجَبَّارُ فِي قَصْرِهِ . وَلَا رَيْبَ أَنْ شَوْقَكَ إِلَى سَمَاعِهَا قَدْ بَلَغَ أَقْصَاهُ . وَهَذَا نَدَا أَقْصَاهَا عَلَيْكَ ، كَمَا تَحَدَّثُ بِأَنْبَاءِهَا الرُّوَاةُ .

١٤ - مَأْسَاةُ الْفَتَاةِ

قَالَتِ الْفَتَاةُ : « اسْمِي « نَاهِدُ » ، وَاسْمُ أَبِي السُّلْطَانِ « رُسْتَمُ » . وَقَدْ تُوَفِّيتُ أُمِّي - وَأَنَا صَغِيرَةٌ - وَلَمْ يُنْجِبْ أَبَوَايَ ، مِنْ الذُّرِّيَّةِ سِوَايَ . وَكَانَ وَالِدِي عَلَى شَجَاعَتِهِ وَعَدْلِهِ ، مُوَلِّعًا بِالصَّيْدِ ، إِلَى حَدِّ كَادَ يَشْغَلُهُ عَمَّا تَتَطَلَّبُهُ شُؤْنُ رَعِيَّتِهِ مِنْ عِنَايَةٍ وَتَذْيِيرٍ . وَلَوْ لَا حَزْمُ وَزِيرِهِ « رَاشِدٍ » - الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ الْإِخْلَاصِ لِأَبِي ، وَالتَّفَانِي فِي إِقَامَةِ الْعَدَالَةِ - لَضَاعَ الْمُلْكُ مِنْ بَيْتِنَا ، مُنْذُ وَلِيَهُ أَبِي . وَذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَ أَبِي لِلصَّيْدِ ، فِي صَفْوَةٍ مِنْ حَاشِيَتِهِ ، إِلَى الْغَابَةِ ، وَجَمَعَ كَثِيرًا مِمَّا اضْطَادَهُ . وَلَمَّا هَمَّ بِالْعُودَةِ ، رَأَى فِي طَرِيقِهِ عَيْرًا (جِمَارًا وَحْشِيًّا) ، فَاسْرَعَ إِلَيْهِ يُطَارِدُهُ ، حَتَّى ظَفِرَ بِهِ . وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ خَيَّمَ ظِلَامُهُ ؛